بمناسبة ذكراه الرابعة

سلامه موسى : حياته وفكره

بقلم غالي شكري

مقدمة

سلامه موسى ، واحد من ابناء الرعيل الاول الذين وضعوا حجر الاساس في صرح نهضتنا الثقافية الحاضرة . وقد ولد سلامه عام ١٨٨٧ حيث اقترنت طفولته بالحال المصيبة التي كانت عليها بلادنا حين أرسى الانجليز قواعد احتلالهم .

وكانت المدرسة الفكرية الاولى لشباب ذلك الجيل هي مجلة المقتطف التي أولت العلوم عنايتها الاولى ، ومجلة الجامعة التي أولت الآداب الاوروبية كل اهتمامها . وكان يحرر الاولى الاستاذ يعقوب صروف ، والاخرى الاستاذ فرح انطون ، وكلاهما كان على صلة وثيقة بتيارات الفكر الاوروبي المعاصرة لهما . فكانت المقتطف توالي بحوثها المترجمة عن المصادر الاوروبية في نظريات النشوء والارتقاء التي تخير لها سلامه موسى اسم التطور . أما الجامعة فقد نقلت الينا روائع المدرسة الرومانسية التي جادت بها قرائح الادباء الفرنسيين في ذلك الوقت البعيد .

ومن هذه البؤرة تشعبت اهتمامات سلامه ، وتجمعت في نقطة واحدة هي : العلاقة بين الثقافة والحضارة . واكتشف أن الفكر الانساني ـ في مختلف نشاطاته ـ هو تعبير صادق عن الحضارة الانسانية . ومن ثم أيقن أن ميله الى الثقافة الاوروبية يجب أن يوجه الى التعرف على الجذور الحضارية لهذه الثقافة .

ولم يكن غريبا اذن ، ان يولى سلامه موسى وجهه شطر اوروبا . وكانت وجهته الاولى باريس . ولكنه لم يكد يقضي بها شهورا حتى عاد الى وطنه بعد أن جلدته سياط المثقفين الفرنسيين وهم يسألونه عن بلاده وتاريخها ، خاصة وأن كثيرا من المستشرقين أكبوا في ذلك الوقت على دراسة التاريخ المصري القديم .

عاد سلامه اذن ليدرس وطنه دراسة حرة ، ليعوض ما حرم منه على أيدي المدرسين الانجليز الذين شاءوا أن يلصقوا بأذهان التلاميذ المصريين أن تاريخ العالم هو تاريخ بريطانيا العظمى . أما مصر ، فانها لم ترتق في نظرهم ، الى مستوى التاريخ .

واستكمل سلامه موسى أدواته الثقافية من علم ومعرفة، وشد رحاله مرة اخرى الى باريس .. في نفس الوقت الذي كان فيه كرومر يغادر مصر ، وتنشر الصحف الفرنسية نص خطابه الذي ألقاه في حفلة الوداع .

الفصل الاول

« نشرت الصحف الفرنسية الصادرة في ٥ مايو عام ١٩٠٧ نص الخطاب الذي القاه كرومر في حفلة الوداع التي اقيمت له ، بمناسبة مغادرته مصر ، عقب مأساة دنشواي ، وفي احد مقاهي باريس كان يجلس الشاب المصري سلامه موسى مع بعض الشبان الفرنسيين ، يستمع الى احدهم ، وهو يقرأ كلمات كرومر »

ـ « ماهي حقائق الحال المصرية الان ؟ اولها ان الاحتلال سيدوم الى الابد باذن الله . وقد صرحت لنا حكومة صاحب الجلالة الملك بذلك رسميا . والحقيقة الثانية ، انه مادام الاحتلال البريطاني باقيا ، فالحكومة البريطانية تعد بالضرورة مسؤولة امام ضميرها عن خط سير الحكومة المصرية . ولا يكونن عند احد اقل ريب في هذه الحقيقة الثابتة .

والنتيجة التي استخلصها من هذه المقدمة ان نظام الحكم الحاضر ، قائم الى مالا نهاية »

سلامة « منفعلا » : كلمات رجل مخرف

شاب فرنسي « محتدا » : لاتقاطعه ايها .. الهندي ...

سلامه « ساخرا » : لست هنديا .. ومع ذلك ..

شاب اخر : اخرس .. ايها الملون « ضجة » يبدو انه مصري ..

سلامه : تماما ... انا كذلك .

شاب ثالث : اذن فلا تناقش .. ليس لك هذا الحق ... الانجليز اسيادكم .. أتسمعني .. أسيادكم !!

« تزداد الضجة ، بينما ينصرف سلامه هاربا »

***

« شخص ينفي خطابا »

ـ انها رسالة من لندن ... من سلامه .. اما زلت تكتب يومياتك .. سأقراها يا اخي ، فما زال صوتك في ذاكرتي « يبدأ في القراءة » « ... واذكر اني في احدى الامسيات ، وجدتني اجلس على المقعد ،وكأني سمرت به. وكأني نويت الا ابرح هذا الكرسي حتى اصل الى قرارحاسم. ماذا انا عامل في هذه الدنيا ؟ من هم خصومي الذين يجب ان اكافحهم ؟ من هم اصدقائي الذين يجب ان اؤيدهم ؟ ووجدتني افكر واجيب ،واحيانا يحتد تفكيري فاسمعه كلاما انطق به . أجل . ليس لي مأرب في هذه الدنيا ، فلست أبالي ان اكون ثريا . لا بل لست أبالي ان تكون لي زوجة واطفال . وانما قصدي ان افهم ، ان اعرف كل شيء ، وآكل المعرفة أكلا ، ثم عدت فقلت : ولكن لماذا ؟ وأجبت : لاكافح ! لاكافح الانجليز حتى يجلوا عن وطننا. وايضا أكافح تاريخنا . أكافح هذا الشرق الذي تأكله ديدان التقاليد ، وأكافح هذا الهوان الذي يعيش فيه أبناء وطني : هوان الجهل وهوان الفقر . أجل . اني عدو للانجليز ، وعدو للالاف من ابناء وطني ، لهؤلاء الاقطاعيين الذين يعارضون العلم والحضارة العصرية وحرية المرأة ، وصارت هذه الافكار هما يؤرقني ، منذ غادرت باريس الى لندن » .

« في حديقة هايد بارك مع صديقته الارلندية اليزابيت »

ليزي ـ : لاتظن ان هذه اجمل حدائق لندن

سلامه ـ : انت جريئة ياليزي .

ليزي ـ : ليس كثيرا .. ولكن هل قرأت « بيت الدمية » لابسن؟

سلامه ـ : طالعت موجزا نقديا لها في احدى المجلات .. كان قاسيا على المرأة الاوروبية .

ليزي ـ : ان ماتتوهمه عن حرية المرأة في اوروبا ، انما هو طلاء سطحي يخفي الحقيقة المرة !

سلامه « مندهشا : الحقيقة المرة ..؟ ماذا تعنين ؟ ها انت تجلسين معي في مكان عام .. انك تشاهدين السينما والمسرح وتزورين اصدقاءك .. أين المرارة ياعزيزتي ؟

ليزي « ضاحكة » : لاتتسرع هكذا ياصديقي ، فأنا لاامثل اغلبية نسائنا ... المرأة الاوروبية ياعزيزي « لعبة » في يد الرجل كما يقول

ابسن ، انها ترتدي الثياب الفاخرة ، وتغشى الملاهي ، وتذهب الى الكنيسة ، وليس هذا بكل شيء .

سلامه : اذا خرجت المرأة الى الدنيا .. اليس ذلك كل شيء ؟

ليزي : كلا .. وانما المساواة الحقيقية هي ان ترتفع المرأة من الانثوية الى الانسانية ، فترفض التدليل ، وتخرج الى العمل ، لانها انسان قبل ان تصبح زوجة او أما .

سلامه : ولكن الفتاة عندكم حصلت على نصيب كبير من الحرية .. فهي مثلا ..

ليزي « تقاطعه » : ان الفرق بين المرأة الاوروبية ، والمرأة عندكم هو الفرق في درجة الاستعباد فقط . فالمرأة العاملة في انجلترا لاتحصل على اجر الرجل ، ولا ميراثه ، والجامعات رفضت قبولها امدا طويلا .. والدولة اصرت زمنا على رفضها كناخبة او مرشحة في المجالس النيابية.

سلامه : مهلك ياعزيزتي .. كيف اذن تقدمت المرأة الانجليزية ؟

ليزي : انه التطور .. التطور الطبيعي الذي سيتحدث عنه برنارد شو غدا في الجمعية الفابية .

سلامه : انت نبيهة جدا .. انني لا انسى موعد محاضرات شو .

ليزي : هل تعجبك المناقشات التي تدار في نهاية الندوة ؟

سلامه : كثيرا ياليزي .. انها دليل على الديمقراطية .

ليزي : اذن فسأراك غدا .

سلامه : الى اللقاء ياليزي .

ليزي : الى اللقاء .

***

« في قاعة الجمعية ، وقد انتهى برنارد شو من محاضرته »

مدير القاعة : .. والى هنا ينتهي حديث مستر شو ، والفرصة الان لجميع الاصدقاء الذين يريدون توجيه أي سؤال .

برناد شو : ... فقط اريد ان تنحصر الاسئلة في موضوع المحاضرة « خطوات شاب في طريقه الى المنصة »

مدير القاعة : اسم حضرتك ؟

سلامه : سلامه موسى

مدير القاعة : تفضل

سلامه : أيأذن لي مستر شو ان أتساءل : كيف أستطعت ان تجمع بين التطور والاشتراكية ، رغم ان عماد نظرية داروين هو قانون تنازع البقاء ، بينما الاشتراكية تدعو الى التعاون ؟

برنارد شو : حين نطبق نظرية ما على المجتمع ، يجب ان نفرق بين البيئة الانسانية والغابة ، في مجال البيولوجيا مثلا ، لا يجب ان نقتل المرضى والضعفاء .. حتى نتطور الى ارقى .. وانما نضع حجابا بين المرضى والاصحاء ، ونرفع اقتصادنا القومي بان نحد من جشع الطبقة الكبيرة لمصلحة الطبقات الشعبية .

سلامه : مارأيك يا مستر شو فيما يقوله مستر ويلز في كتابه « تاريخ الانسانية » ؟ انه يعطي الدول المتقدمة حق استغلال موارد الشعوب المتأخرة . ويبرر ذلك بان العالم ليس ملكا لاحد .. والظروف التي ساعدت الامم الراقية على التقدم تمنحها الحق في ان تستغل الخامات البكر في البلاد المتخلفة . حيث ان ظروف تلك البلاد لن تهيها الفرصة لتحويل هذه الخامات الى خدمة الانسان .

شو : انني اشكر هذا الشاب المصري « سلامه موسى » فقد اتاح لي فرصة جميلة لتحليل كتاب الصديق ويلز ، والان اسمح لي ياعزيزي ان أسألك : هل قرأت المؤلف الالماني وايزمان ؟

سلامه : اجل . انه يؤمن بالوراثة فقط ، على انها العامل الوحيد في تطور الكائنات الحية ، اما البيئة والظروف الخارجية ، فانه لايؤمن باسهامها في تغيير صفات الكائن الحي .

شو : هذا صحيح .. فلو طبقنا نظرية وايزمان في ميدان السياسة، لادركنا الى أي مدى يمكن ان تؤيد قوى الاستعمار في العالم ، هذا الاستعمار الذي تسبب في مأساة قريتكم .. دنشواي !

سلامه « مقاطعا » : اشكرك ياسيدي .. اننا لن ننسى كلماتك الشجاعة العظيمة التي ايقظت ضمير العالم على مأساتنا .

شو : وايزمان يؤمن بالوراثة فقط .. أي ان الامم المتقدمة ولدت هكذا بكل امكانيات التقدم ، وستظل في سيرها الامامي الى الابد . والشعوب المتخلفة ولدت ايضا هكذا ، بكل امكانيات التأخر . واذن فلا ضرورة للكفاح .. ومرحبا - كما يقول ويلز - باستعمار المتقدمين للمتخلفين .. فهذا حقهم ، وتلك ضريبة التخلف !..

سلامه : اجل ، ياسستر شو .. اني افهمك تماما .

شو : ولكن ياعزيزي ، نحن نؤمن بتاثير الوسط والبيئة على صفات الكائن الحي .. فلو تغيرت النظم والظروف المحيطة بالدول المتأخرة ، لتغيرت بالتالي احوال هذه الدول ، ولا ريب اننا نلمس تاثير الظروف الدولية على الامم المتقدمة ، وكيف ان بعضها بدأ يرجع الى الوراء ، بينما تقفز الشعوب الضعيفة الى الامام في موازاة التقدم العلمي .

سلامه : شكرا يا مستر شو .

شو : ألديك سؤال اخر ؟

سلامه : أجل ياسيدي .. الست ترى معي ان هناك فرقا بين دعوة نيتشه لايجاد الانسان الاعلى ، ودعوتكم ؟.

شو : انني اختلف مع نيتشه اختلافا جذريا .. فهو يدعو الى ان يكون الانسان قنطرة بيولوجية بين القرد والسوبرمان على اساس تنازع البقاء ، فنعمل على ابادة الضعفاء ، ونشجع صفات الممتازين بالتناسل .

سلامه : هذا هو رأيه بالفعل .. ولكنني اميل الى جانبك حين تنشد السوبرمان بطريقة انسانية .. وهي ان نحمي الاجيال القادمة من الصفات السيئة ، بان نمنع ذوي هذه الصفات من التناسل ، بينما نشجع الممتازين .

شو : تماما .. ولا تنس ان الذين نمنعهم من التناسل لا نمنعهم مطلقا من الزواج .

سلامه : لقد عرفت ذلك من قراءتي لعلم اليوجينيا الذي يهدف علماؤه الى اصلاح النسل بالوسائل الطبية كمنع الحمل عند من تعنيهم مصلحة بلادهم ، ولا يرغبون في الحاق عاهاتهم بالاجيال المقبلة .

شو : هل من سؤال جديد ؟

سلامه : شكرا .

مدير القاعة : اعتقد اننا نكتفي بهذه المناقشة في ندوة الليلة ، والى اللقاء في الندوات التالية .

« ضجة الختام .. وعند الباب تلتقي اليزابيت مع سلامه »

ليزي : كنت رائعا ياسلامه !

سلامه : ليس كثيرا .. فقد نسيت ان أسأله عن اسباب النزاع الذي نشب بينه وبين ويلز .. فاني المت بشيء منه في الملحق الادبي للتيمز .

ليزي : ياعزيزي .. « ضاحكة » .. انك تشغل نفسك بالتفاصيل، الامر في بساطة ان مستر ويلز يرى ان نجمع بين الدعوة الاشتراكية والدعوة الى تحرير المرأة في وقت واحد . ومستر شو يرى ان نقتصر علي نشاطنا الاشتراكي .

سلامه : في الواقع أني احب برنارد شو ، ولكني اميل الى رأي ويلز .. ان حرية المرأة هي الاساس الديمقراطي لبناء الاشتراكية .

« بقلق » ولكنك يا ليزي لم تخبريني بعد .. هل فكرت فيما اخبرتك به؟

ليزي : « برنة أسى » ... ظننت انك ستمهلني فترة اطول .. وان كنت اعتقد انه من الافضل ان افسر لك الامر في وضوح .. لقد اكتشفت ـ بعد تفكير ـ انني لن استطيع مغادرة ايرلندا ياصديقي . فأرضها اولى بكفاح أبنائها .. وانا ـ كما تعرف ـ ليست لي اماني صغيرة ... انني ابغي الحرية لوطني والرفاهية لبنيه ، وهذا لا يتحقق الا اذا كنت بينهم !

« في أسف » : أهذا قرارك الاخير ؟. انني احبك ياليزي ..ولكنني ـ مثلك ـ احب وطني ايضا . وطني في حاجة الى النضال . وانا لم احضر الى هنا لاتبرأ منه. وانما جئت لاشتري اسلحة الثقافة والعلم التي سأسهم بها في تقدم بلادي ، انني في لندن والقاهرة معا . ان كتابي الصغير « مقدمة السوبرمان » يقرأه ابناء وطني الان .. يقرأون كل الافكار التي اكتسبتها من هنا .. الافكار التي عشناها معا ياليزي .

ليزي : قلبي معك ياعزيزي .

سلامه : وروحي معك ياصديقتي اليزابيت

ليزي : اكتب الي دائما .

سلامه : أعدكِ ياليزي .. وداعا .

ليزي : وداعا .

الفصل الثاني

« القاهرة عام ١٩١٤ ـ صالون الاديبة العربية مي ـ سلامه موسى صاحب مجلة المستقبل يحصل منها على حديث صحفي »

مي « ضاحكة » : انني لا احب الاحاديث الصحفية ، لكني سمعت انك جئت من لندن قريبا .. فربما كنت معقولا في أسئلتك .

سلامه : مارأيك في الادب العربي المعاصر ؟

مي : في حاجة الى المثل العليا ، فهو مازال ماديا في اغراضه ، لم يرتق الى الروحانيات بعد .

سلامه : انك تستخدمين المادية والمثالية بالمعنى الاخلاقي ، بينما يجب ان نستخدمها بالاصطلاح الفلسفي ، فنقول ان الادب يكون ماديا حين يتصل بمشكلات الواقع الاجتماعي ويعالج هموم الانسانية واهتمامات الشعب . ويصبح الفن مثاليا حين يسبح في فضاء الاحلام .

مي : اذن فالادب سلعة وليس جمالا ؟

سلامه : من قال ذلك ؟ ان الفن الجميل هو الفن العظيم .. ولكن الجمال ليس احتكارا لقصص الحب وماسي الغرام .. هناك جمال في حياة الناس . والاديب الصادق يصور هذه الحياة بكل مافيها من ألم وحرمان .. وليس الحرمان قاصرا على الجنس .

مي « ضاحكة » : أخشى ان نخطىء فأصبح انا الصحفية ، وانت مي !

سلامه : لايجب على الصحفي ـ في رأيي ـ ان يكون آلة تسجيل .. المحقق الصحفي يجب ان يناقش ... هل ثمة فرق بين الادب المصري والادب السوري ؟

مي : كلاهما يعبر عن الروح العربية ، وان تميز الاديب السوري بفخامة الالفاظ وخفة التعبير .. اما الاديب المصري فيهوى الانسياب والاستطراد .

سلامه : والمرأة السورية .. هل تتشابه مع زميلتها المصرية ؟

مي : انهما شقيقتان ، ولكني أرى أن المرأة السورية ارقى نساء العالم العربي ، ومع ذلك فلا يستطيع رجل ان يجلس معها .

سلامه : أعتقد ان الحجاب هو المرض الحقيقي لتأخر نسائنا .. ان بناتنا لايجدن مدرسة ثانوية واحدة ، وهذا هو داؤنا . فالثقافة والعمل يمكن ان ينهضا بالمرأة العربية .. اما العمل فغير متيسر في الوقت الحاضر ، وسيتحقق مع الزمن ، اما الثقافة .. الثقافة .. لماذا تحرم منها بناتنا من دون فتيات العالم ؟ لماذا نفخر بجهل نسائنا ؟ ان الحجاب يغطي وجوههن ، وعقولهن ايضا ، وهذه مأساتنا ، فحين يصبح نصف أمة مشلولا ، لاتتوقعي منا تقدما او رقيا .

مي « ضاحكة » : انك محق ياسلامة .. وارجو الا تنسى في ثورتك الظروف الشاقة المحيطة بالمرأة العربية .

سلامه : هذا صحيح .. فظروف مجتمعنا كله شاقة ومريرة ... الانجليز يعرفون ان الثقافة والتعليم هما قوام كل شعب متمدن .. فاذا تعلمنا وارتقينا ، ثرنا على أغلالهم ، ورمينا بهم في البحر ... وهناك ايضا الاستبداد الداخلي .. الاقطاع المتربع على عرش ارضنا ، فان عرشه لايثبت الا بمسامير الاستعمار .

مي : اجل ، انهما عدوان خطيران .

سلامه : ولكنا سننتصر ... تأكدي ان شعبنا يكظم ويكبت .. وحين ينفجر لايبقى ولا يذر .

مي : انك تحلم .. ماذا ستفعلون ؟.. الاحتلال امامكم والاقطاع وراءكم .

سلامه : سنتعلم .. سنثقف بناتنا داخل بيوتنا حتى يخرجن الى الشارع ، ويبنين مدارسهن بأيديهن ، سنحول حقولنا الى مصانع ، ونثبت كذب كتب المطالعة ، فبلادنا ليست زراعية .. انها اسطورة انجليزية تسعى بيننا على قدمين .. ستمتلىء بلادنا بالمصانع .. ويتحطم الاقطاع ... ويجلو الانجليز .. وسنعيش .. سنعيش ياسيدتي .

مي « ضاحكة » : انت تحلم .

سلامه « منفعلا » : لاباس .. ولكني من الذين يحلمون واعينهم مفتوحة .

***

« المشهد : سلامه على مكتبه ... جرس التليفون يدق »

ـ الى أين وصلت في المذكرات ؟

سلامه « بحماس » : انني اكتب منذ الصباح .. لقد وصلت الى ثورة ١٩ « يضع السماعة .. يعود الى الكتابة »

« ترى .. هل تذكر مي حديثها معي بعد هذه السنوات ؟ أكانت تصدق ان هذا الشعب العظيم يمكن ان يقوم بثورة ؟ أكاد اوقن انها ما كانت على وعي بالروح العملاقة التي يحتويها شعبنا . فكانت تدري ـ مثلا ـ ان الاقباط رفضوا أية مساومة مع الانجليز بشأن حماية الاقليات وان القسيس سرجيوس كان لايبالي ان يكرر القول بانه اذا كان استقلال المصريين يحتاج الى التضحية بمليون قبطي فلا بأس من هذه التضحية. وعندما كانت لجنة الدستور تبحث قانون الانتخاب طلب احد الباشوات الاقباط ان تكفل حقوق المسيحيين في الانتخاب بالتعيين ، أي اذا لم ينتخب منهم العدد الكافي الذي يمثلهم فان الحكومة حينئذ تعين عددا من الاقباط حتى لايكون هناك نقص في التمثيل .. ياللعار .. لقد نسوا اننا شعب واحد .. نسوا ان محمد يمثل جرجس ومرقس يمثل حسن.. المهم ، لقد هبينا نحن الشبان ذلك الوقت ، نزيف هذا الرأي الداعي الى التفرقة ، وصرخنا بان نكتفي بالانتخاب .

ومما يبرز في ذاكرتي من ثورة ١٩ هو وثبة المرأة المصرية من الانثوية والبيت الى الانسانية والمجتمع . فقد مزقت الحجاب ، وشرعنا جميعا نعد المرأة انسانا له حقوق الانسان ، بعد ان كنا نتكلم عنها باعتبارها ربة البيت او الزوجة او غير ذلك من الصفات التي كنا نصف بها « المخدرات » .. وقد زالت هذه الكلمة من لغتنا .

وشيء اخر هو النهضة الاقتصادية التي أثمرت بجهود طلعت حرب وغيره ، بنك مصر وسائر توابعه من الشركات الاخرى . وبهذا البنك مسحت عن جباهنا الوصمة التي كان يعيرنا بها المستشار المالي برونيات بقوله انه ليس من بين المصريين من يعرف اعمال البورصة .»

***

« يدق الجرس ـ يدخل خادم »

ـ نعم ياسيدي

سلامه : اعطني رسائل اليوم « الخطوات تبتعد » .. سأرد على احداها في مقال كامل .. « الخطوات تقترب » .. شكرا « الخطوات تبتعد ، ويبدأ سلامه في فض احدى الرسائل » « فترة صمت يضحك في نهايتها » .. ياله من قارىء ذكي ، انه يسألني « لماذا تدعو الى الزواج المبكر ، بينما عرفت انك تزوجت في القريب جدا حين بلغت السادسة والثلاثين . وهل تعتقد ان الزواج والادب يتفقان ؟ » « يتنهد .. ثم يبدأ في الكتابة » . « ليس شك انه كان للصدمة التي لقيتها ايام حبي لتلك الفتاة الايرلندية ، وانا في انجلترا ، أثر في كراهيتي او تجنبي للزواج . فلم يكن يقترح علي احد الزواج بعد هذه الصدمة الا واتنهد في حسرة وأسف :

وعقب الزواج وجدت صعوبتين : أولاهما اني احترف الادب والصحافة واتعلق بالقراءة وهوايتي هي الثقافة . والزوجة تعد الانفاق على الكتب اسرافا . ثم هي لاتطيق رؤية زوجها وهو غارق في كتابه طول الوقت او معظمه في البيت . والصعوبة الثانية هي التفاوت العظيم بين مستوييننا الثقافيين . ففي مصر كنها لم تكن هناك مدرسة ثانوية واحدة للبنات الى عام ١٩٢٥ ، وكانت زوجتي قد تعلمت في مدرسة فرنسية من تلك المدارس التي تديرها الراهبات ، ويتجه فيها معظم العناية الى التعليم الديني . ولذلك وجدت للتغلب على هاتين الصعوبتين ان اشرع في تعليمها من جديد . فصرت اشركها فيما اكتب ، واناقشها في جميع الموضوعات الثقافية التي اهتم بها . وبدهي ان كل زوجة تهتم بحرفة زوجها . ولما كانت حرفتي هي الصحافة والادب والعلم ، فانها اضطرت الى تتبع نشاطي حتى ارتفعت على مستواها السابق كثيرا . وبهذا صح الوفاق بيننا ، بل اكثر من ذلك انها اصبحت صديقتي كما هي زوجتي ، وظني ان خير طريق الى الصداقة الضرورية بين الزوجين في مصر ان يرفع الزوج زوجته الى مستواه الثقافي . اذ هو حين يقصر في ذلك يجد ان التفاهم بينهما معدوم ، فلا يكون الحديث بينهما الا في الشئون التافهة، ويعودان وكل منهما يعيش في عالم منفصل عن العالم الذي يعيش فيه الاخر . والصداقة التامة تحتاج الى التكافؤ الثقافي بينهما ..

والاديب الحق يجد انه بحاجة في بعض الاوقات الى ان يغير القيم والاوزان الاجتماعية والاخلاقية ، وان يجهر بما يجبن غيره عن الجهر به . ولكنه حين تحدثه نفسه بذلك ، يجد نداء العائلة ـ أي الزوجة والاولاد ـ صارخا في وجدانه : قف ! الا تتذكر ابنتك هذه التي ستتزوج بعد عام او عامين ؟

ولهذا السبب اثر كثيرون من المفكرين والادباء العزوبة على الزواج. بل احيانا وقفوا فيما يشبه منتصف الطريق ، كما فعل هافلوك اليس . فانه تزوج ، ولكن ، بالاتفاق مع زوجته ، عاش كل منهما مستقلا في منزله الخاص .

وشخصية الاديب ، سيكلوجيا ، هي شخصية سيكوباتية ، أي إنه والمجرم سواء ، والفرق بينهما ان المجرم ينحرف الى اسفل بينما الاديب ينحرف الى اعلى . كلاهما متقلقل متأفف نازع الى الشذوذ عن اوزان المجتمع وقيمه السائدة . وكما ان العائلة من العوامل الكبرى التي تحول دون الاجرام ، كذلك هي ايضا من العوامل الكبرى التي تحول دون الاديب العظيم أو تعوق رسالته . او بكلمة اخرى ، تعمل العائلة للاعتدال ، وتحول دون الشطط ، الاجرامي والعبقري معا .

وكل ارتباط ، في معنى ما ، تقيد . فان الارتباط بهدف اجتماعي او اتجاه فلسفي ، يقيد الاديب ويحد من حريته . ومن هنا دعوة الدوس هكسلي واندريه جيد الى الانفصال عن الاحزاب والمذاهب ، ليستقل في فنه وتفكيره ، والحق ان لهذا القول وجها بل وجوها من الصواب . وخاصة في عصرنا الحديث حيث نرى الاحزاب تستخدم الاديب في تأدية اغراضها . ولكن عصرنا هذا يتسم ايضا بصراع روحي بين الحق والباطل والاديب الذي تنفذ بصيرته الى صميم هذا الصراع لن يستطيع الا ان يقف الى جانب الحق . واذن ليس هناك مجال في عصرنا لهذا الاستقلال المزعوم . فللاديب المخلص مبدأ ، كما ان له عائلة ، وهو يرضى بشيء من القيود يرتبط بها فنه كي يبقى متصلا بالمجتمع يدرس ـ عن اختبار ـ مشكلاته ، ويجعلها اساس الفن ومحور الادب .

***

« طرقات على الباب . . يدخل الساعي »

سلامه : نعم

ـ : شاب صغير يطلب مقابلة سيادتك

سلامه : دعه يتفضل

« يفتح الباب .. خطوات تبتعد واخرى تقترب »

سلامه : أهلا وسهلا

الشاب : متشكر يا افندم .. جئت لاسدد الاشتراك

سلامه : تفضل على هذا المقعد

الشاب « بعد ان اطمأن » .. ومعي عدة أسئلة من مجلة الكلية موجهة الى سيادتك

سلامه : اسم حضرتك .

الشاب : نجيب محفوظ ، بكلية الاداب قسم الفلسفة

سلامه : واسم مجلتكم ؟

الشاب « بحماس » : التطور « بارتباك » انها مجلة حائط وليست مجلة مطبوعة .

سلامه « مبتهجا » : شيء عظيم .. اشكرك .. وما اسئلتك ؟

نجيب « بلهجة المعلم » : تعلم اننا نستطيع ان نحيا على البروتينات فقط مثل زلال البيض واللحم والجبن . لان اجسامنا تستخلص منها السكر والنشا . وهناك الاف من الحيوان تعيش على البروتينيات فقط . ومن هنا نفهم ان البروتين هو المادة الحية الاولى . والمادة البروتينية تحمل على الدوام شحنة كهربائية تجعلها على تفاعل مع الاجسام المكهربة المحيطة بها . فهي تتذبذب بها كما يتذبذب الحديد بالقوة المغنطيسية . وهذا التذبذب هو في النهاية اقرب الاشياء الى الاحساس والتحرك .والاحساس والتحرك هما خاصة الاحياء ، ولذلك يمكن الظن بان اول الاحياء على الارض هو مجموعة من الجزئيات البروتينية الكهربائية التي اغتمزت

بالحياة . ولم يكن هذا الاغتماز سوى حركة او ذبذبة كهربائية .

نجيب : قرأت لسيادتكم اننا اهتدينا الى نظرية التطور بواسطة المتحجرات التي تعرفنا بواسطتها على تطور الكائنات الحية منذ الاف السنين ... ولكنا نريد ان نعرف ، كيف يتحجر الكائن الحي ؟

سلامه : الامر بوضوح ان حيوانا ما قد تزل قدمه فيقع في حفرة ثم ينهار عليه التراب ويدفنه ، او قد تنخسف الارض التي تحمله في باطنها فيموت تحت مايتجمع حوله من التراب . او قد يتورط في مستنقع يعجز عن الخروج منه ويموت مدفونا في طينه . وهذه الاحوال نادرة الوقوع، ولذلك فالمتحجرات من النوادر ، ونحن لذلك لا نجد كل انواع النبات والحيوان القديمة ، وانما نجد نوعا ما يبصرنا بما جاء قبله وما جاء بعده.

والحيوان او النبات المتحجر لايوجد بلحمه وشحمه كما كان في حياته . وانما يوجد حجرا قد اتخذ هيئته في حياته قبل موته . وسبب تحوله من المادة الحية الى المادة الحجرية انه عندما يدفن تحت التراب وتنزل فوقه الامطار تتسرب المياه اليه فتفسد مادته وتتعفن شأن كل حي ، فاذا تعفنت تحولت الى غازات وتطايرت فيبقى مكانها خاليا بالهيئة التي مات عليها الحيوان او النبات . والمطر اذا تسرب الى هذا المكان الخالي حمل معه الاملاح التي تذوب فيه وهو يمر بالتربة التي فوق الحيوان او النبات المدفون . فهذه الاملاح تتراكم سنة بعد سنة ومادة الحيوان تفسد وتتحلل وتذهب سنة بعد سنة حتى يجيء وقت يصير فيه الحيوان او النبات قطعة من الاملاح او الحجر .

نجيب : اشكرك .. الا يمكن ان تتطور الكائنات دون ان تموت ؟

سلامه : ربما يكون موت الابوين ضرورة يقتضيها بقاء النوع ، لانه ليس من مصلحة النسل الجديد أن يزاحمه على الغذاء الجيل السابق ، لانه يقتله عندئذ ويحرمه غذاءه . في حين أن ظهور النسل الجديد وبقاءه أنفع للنوع من بقاء الجيل السابق ، وأقبل للتطور منه ، فمن مصلحته ألا يجد ما يزاحمه على البقاء ، وهو بعد في الطفولة . وهذا هو معنى الموت وفائدته الكبرى لجميع الاحياء العليا . فالموت عامل من عوامل الحياة . والاحياء الدنيا لا تعرف الموت للان . فالاميبا والبكتريات كلها خالدة ، ولكنا نحن نموت لاننا أرقى منها .

نجيب : ما هي دلالة داروين لعصرنا ؟

سلامه : شيئان هامان يهدف الى توضيحهما داروين : أولا ، معارف تكاد تكون حقائق عن اصل الانواع في الحيوان والنبات ، وانها جميعها ترجع الى أصل واحد أو اصول قليلة ، وثانيا ، منهج للدراسة هو أن الاستقرار لا يعرف في الطبيعة ، وأن الانسان والحيوان والنبات بل والجماد في تغير مستمر . وقد فرضت هذه النظرية نفسها على كافة ميادين الحياة ، اذ لم يقف داروين عند حد اكتشاف النظرية ، فقد سبقه الى ذلك بصفة غير دقيقة اثنان هما جده ومستر وولاس . ولكن داروين انتهى الى تعليل التطور بتنازع البقاء الموجود في الطبيعة ، فالقوي هو الذي يبقى ، أما الضعيف ، فعوامل ضعفه مكلفه بافنائه . ومن هنا تتطور الحياة الى الافضل – أي الى الاقوى . والقوة هنا ليست بدنية فقط ، لانها قد تكون ذكاء الكائن الحي أو شكله أو لونه أو طبيعته المعيشية .. وهكذا .

وعظمة داروين هنا هي النظرية نفسها ، التي اكتشف بها العقل الانساني مفتاح العالم . فالنقلة التاريخية التي حمل عبئها داروين من التسليم الغيبي للموجودات ، الى الحقيقة العلمية لهذه الموجودات ، وهي أنها في تطور مستمر غير مستقر .. قد حفرت في أذهاننا شهوة البحث والاستفسار والقلق والكشف وعدم الرضا والاطمئنان الى عقائد الاولين .

نجيب : أرجو ألا تكون أسئلتي كثيرة .. لاحظنا يا أستاذي أن اهتمامك بالعلوم يعادل اهتمامك بالآداب .. أليس كذلك ؟

سلامه : الادب وسيلة حيوية من وسائل التحرير الكبرى . ولكن العلم هو أساس الحياة الحديثة . ينبغي أن تدرس العلوم ، وأن نتشبع بالعقلية العلمية ، فالجاهل بالعلم ليس من سكان القرن العشرين ، ولو كان عبقريا .. وعلى الادباء أن ينالوا حظهم منه ، فلم يعد العلم وقفا على العلماء . أجل ، لهؤلاء التضلع والتعمق .. ولكن على كل مثقف أن يضيء نفسه بنوره ، وأن يعتنق نتائجه ويتحلى بأسلوبه .

نجيب ((مؤمنا على قول أستاذه)) : نعم .. ولذلك كانت رسالة المجلة هي تطوير المجتمع على أساس علمي .

سلامه : أجل ، أدرس الآداب كما تشاء ، ولكن لا يجب أن تخلو مكتبتك الى جانب شوبنهور وشكسبير من داروين وفرويد وبيكون .

نجيب : ولكن .. هل يمكن لمجتمع مثقف أن يخلق حضارة مادية راقيـــة ؟

سلامه : لو تخيلنا المجتمع هرما ، قاعدته الشؤون المادية في الاقتصاد والاجتماع ، فان قمته الروحية هي الثقافة ، لان الفكر انعكاس طبيعي للوضع الاجتماعي ، ولكنه ليس انعكاسا منعزلا عن قاعدته المادية . وانما هناك تفاعل تأثيري متبادل .

نجيب : من هو الرجل المثقف ؟

سلامه : غاية الثقافة أن نزيد الحياة وجدانا ، بأن نجعل مشكلات العالم ، مشكلاتنا الشخصية ، لان الحياة تنادينا الى اليقظة والفهم والجد ، كلما استولى علينا النعاس والركود. والادب هو احدى الوسائل لزيادة هذا الوجدان ، وعندي أن الرجل المثقف هو الذي يرتفع وجدانه الشخصي الى الوجدان العالمي . ولا يكون هذا الا بالانغماس في المشكلات البشرية العالمية .

نجيب : سؤال آخر .. ما هو المشروع الذي تمنيت أن تقوم به وأخفقت فيه ؟

سلامه : منذ شهور وجدت – مع بعض الزملاء – أن الفرصة سانحة لايجاد حركة علمية شعبية في مصر ، فعقدنا العزم على تأليف ((المجمع المصري للثقافة العلمية)) . وكانت الغاية منه أن يضم جميع المهتمين بالثقافة العلمية ونشرها بين الجمهور . ونجحنا في المشروع نجاحا لم نكن ننتظره ، مما دل على أن المجمع أدى حاجة أساسية في مجتمعنا . ولكني في ذلك الوقت كنت أكافح دكتاتورية الطاغية اسماعيل صدقي حين اتفق مع الاستعمار والاقطاع على اعادة الحكم التركي الشركسي الذي حاول عرابي أن يحطمه . وأدى نشاطي هذا في السياسة الى طردي من المجمع .

نجيب : سؤال أخير ، وأرجو ألا أكون قد ضايقتك ...

سلامه : الانسان الجاد هو الذي يناقش .. انني سعيد بشباب هذا الجيـــل .

نجيب : قرأت أنك قضيت فترة من حياتك في الريف .. فأيهما أفضل – حسب تجربتك – هل ينتج الاديب في المدينة أم في القرية ؟

سلامه : غيري يعد الريف منفى ، ولكني أعتقد أن أخصب سني حياتي، هي تلك التي قضيتها في الريف . فقد أتاح لي الدراسة الجدية، كما أتاح لي الاستمتاع بالطبيعة . ولم يمر علي يوم دون أن أستيقظ في الرابعة أو الخامسة صباحا . وأسير في الحقول وهي مبللة بالندى في هدوء الطبيعة الرخيم أنتظر بزوغ الشمس فأحييها وأتأملها كأني في صلاة . وهناك آلاف الناس لم يعرفوا قط هذه الصلاة ، ولم يحسوا هذا الاحساس الديني في الاتصال بالطبيعة في خلوة الحقول التي تنمو كل نهار بحياة جديدة . ومن يمشي بين الحقول في هذه الساعات الاولى من النهار تغمره نشوة حقيقية ، حتى ليحس بأنه ثمل دون تخدير للوجدان . المدينة ترسم الخطوط العامة ، والريف يوضح التفاصيل : أنواع عديدة من النبات ، وأصناف متباينة من الحيوان .. ولكن المتأمل يجد ترابطا كليا بينها جميعا . وقد كان داروين يقول – على سبيل الفكاهة – أنه يستطيع أن يقدر عدد العوانس في أية قرية بانجلترا ، بملاحظة حقول البرسيم المحيطة . فاذا كان البرسيم مزدهرا ناجحا ، فانه يدل على ان العوانس كثيرات في القرية . ذلك لانهن يتسلين بتربية القطط ، والقطط تأكل الفيران ، والفيران تقضي على النحل ، والنحل هو الذي ينقل الى البرسيم لقاحه من زهرة الى أخرى .. فاذا قلت العوانس ، قلت القطط ، وزادت الفيران ، وقل النحل ، ثم قل ازدهار

البرسيم .

نجيب : شكرا .

فاصل موسيقى طويل نسبيا

الفصل الثالث

« جمعية نسائية .. ضجة بين العضوات »

عضوة : انه مقال يجب أن نطبعه في منشورات توزع على الرجال في الطريق العام .

أخرى : ويعلق في نوادي الجمعيات النسائية كلها .

اخرى : ان الكاتب ضدكن جميعا .. لانه لا يؤمن بجمعيات للرجال

أخرى : ان الكاتب ضدكما جميعا .. لان لا يؤمن بجمعيات للرجال وأخرى للنساء .. انه يؤمن باختلاط الجنسين .. والجمعيات النسوية التي تعمل على انها في المرأة ـ مثلنا ـ تنسى هذا التناقض الاساسي .. وهو أننا نعمل ـ من حيث لا ندري ـ على تعميق الهوة بيننا وبين الرجال .. أي أننا نطلب المساواة بشفاهنا ، ونلغيها بأعمالنا .

« خطوات قادمة .. عضوات جدد »

عضوة : علام هذه الضجة .. والمناقشات ؟

أخرى : انه مقال لسلامه موسى .

العضوة : ماذا يقول ؟

الاخرى : اسمعي يا ستي (صوت سلامه يبدأ هادئا بطيئا)

« كانت الشعائر الدينية في انجلترا تقتضي أن يقول القسيس للزوجة « يجب أن تطيعي زوجك » ولكن هذه الجملة حذفت لان كثيرا من العرائس كن يجبن على هذا الامر بقولهن « لا » فيثرن الضحك بين المدعوين . وتغيرت العلاقة بين الزوجين الانجليزيين ، فلم يعد الزوج رئيسا لزوجته يطلب طاعتها ، وانما هو زميل يتساوى بها ويتعاون معها. انسان مع انسانة ، رجل مع امرأة ، كلاهما على مستوى واحد ، ليس أحدهما رئيسا والآخر مرؤوسا . وانما هما زميلان .

ومعنى الرياسة الذي لا يزال موجودا في بلادنا ، والذي يستمتع به الزوج يجب أن يلغى . اذ يجب أن تكون العائلة ديمقراطية يتساوى فيها الزوج بزوجته . فلا رئيس ولا مرؤوس . هو يأمر وهي تطيع .

نحن نحاول أن نجعل مجتمعنا اجتماعيا يتألف من الرجال والنساء، وليس من الرجال فقط . ولا يمكن ذلك الا اذا كافحنا فكرة السيادة للرجل على المرأة ، ومجوناها ، وأقمنا مقامها فكرة المساواة والزمالة . ونحن مضطرون الى ذلك ولسنا مختارين . ذلك أن الانتاج العام في البلاد العربية يحتاج الى أيدي النساء وعقولهن، كما هو يحتاج الي أيدي الرجال وعقولهم . وفي جميع الاقطار المتمدنة تنتج المرأة وتزيد الثراء والغذاء والكساء والبناء . ونحن في تنازع بقاء مع الامم المتمدنة ، فيجب ان ننتج مثلها. واذا عطلنا المرأة عن العمل فان انتاجنا يقل : انتاج السلم والحرب . وعندئذ تنهزم في « تنازع البقاء » .

ان انقراض الامم المتخلفة ليس خرافة من خرافات التاريخ بل هو حقيقة ، وسبيل البقاء وضمان المستقبل هو التطور والرضا بالتغير ، كي تزيد القوة بجميع مظاهرها من ثراء الى عتاد الى صحة الى علم الى أخلاق .

وزمالة المرأة للرجل قوة كبيرة ، اذ هي تتربى بهذه الزمالة ، وتعرف هذه الدنيا الواسعة التي كانت الى وقت قريب محرمة عليها . أي تعرف الانتاج والكسب ، وتتخذ أخلاق الرجال في الجد والعمل والدرس والطموح . بل ان الرجل يتربى أيضا بهذه الزمالة . فلا يؤمن بأنه رئيس وزوجته مرؤوسة . لانه حين يتعود الزمالة في المدرسة ثم في المصنع أو المكتب ، ينقل هذا الاحساس الى البيت ، فيتعود الزمالة مع الزوجة ، فلا يعتقد أن له أن يأمر وعليها أن تطيع . الزمالة في المدرسة والجامعة من أوجب واجباتنا . فليست المدرسة أو الجامعة مكانا للتعليم فقط . وانما هما مكان للتربية أيضا . والتلميذ والطالب يتعلمان من المدرس أو الاستاذ . ولكنهما لا يتربيان بالدرس أو المحاضرة . وانما هما يحصلان على التربية من الزمالة بين الجنسين . ذلك أن الزمالة هي الإجتماع والحديث والعمل المشترك والمناقشة المثيرة . وكل هذا تربية للاخلاق وتنمية للشخصية .

وعندما نتزوج على أساس الزمالة والمساواة يقوم الحب من الزوجة مقام الاحترام لزوجها . والحب ابر وآمن وادعم للعائلة من الاحترام . الزوجة التي تحب زوجها خير من الزوجة التي تحترمه ، بل أننا لا نعرف كيف نحترم أحدا اذا لم نكن نحبه . ولن يسود الحب بيتا الا اذا كانت الزمالة تأخذ مكان الرئاسة . وليس في الدنيا انسان يستحق أن يرأس زوجته . وانما هناك قوانين وقواعد اجتماعية يجب أن تكون لها الرئاسة، وأن يخضع لها الجميع رجالا كانوا أو نساء .

ان كل رجل نشأ في مجتمع انفصالي يعد ناقصا في تربيته ، جاهلا للجنس الآخر . بل هو قد يقع فريسة للشذوذ الجنسي . وكذلك كل امرأة نشأت في مجتمع نسوي فقط . ولا عبرة بان يقال ان مكان المرأة هو البيت . لقد كان الشأن هكذا قبل مائة سنة حين كانت اعمال البيت وواجباته تقتضي من المرأة أن ترصد حياتها كلها على خدمة البيت والزواج والاولاد . ولكن هذا البيت القديم كان بيتا غير متمدن . اما البيت العصري فلا يحتاج اكثر من ساعة أو نصف ساعة من الخدمة في اليوم كله . ومن الاجحاف أن نقول للزوجة : الزمي البيت وأبقي معطلة طيلة النهار ، وحسبك أن تعملي ساعة في اليوم كله .

ان المرأة الفقيرة في الاحياء الشعبية ، والمرأة الريفية في القرى .. كلتاهما قد سبقتا نساء الطبقات المتوسطة والكبيرة الى الكفاح . فالاولى تقف مع الرجل جنبا الى جنب في المصنع والمشغل والمستشفى ، والاخرى لا تغادره في الحقل والزراعة .

هلموا اذن نحو التمدن .. والتمدن هو حق المرأة العربية في الحرية وواجبها في الانتاج ، واحساس الانتاج هو احساس الصحة النفسية. وهو احساس الخير الاجتماعي، وهو احساس الصلاح في المعنى العصري . فيجب أن نجعل قلب المرأة وضميرها يحفلان ويشبعان من هذه الاحساسات البارة النبيلة . العضوات « تنهدات » : يا سلام .. يا لها من كلمات بارة نبيلة .

احداهن : انني أريد أن أجري تحقيقا صحفيا مع هذا الرجل .

أخرى : يجب فعلا . ويا ليتك ترينه غدا في كلية الآداب . انه مدعو بالاجابة على أسئلة الطلبة فقط .. هكذا قال ابني .

الاولى : كلا يا عزيزتي .. انهم سيسألونه في مشكلات الادب والفلسفة .. وأنا أريده في حديث خاص عن المرأة .

الاخرى : وكأن الادب والفلسفة لا يعنيان المرأة .. هذه هي الانفصالية .

(ضحكات العضوات وضجيج ينتهي بفاصل موسيقى)

(ضجيج جديد لاصوات شبان . صمت. سلامه يتكلم)

سلامه : انني سعيد بلقياكم في هذا المكان ، وأرحب بكل سؤال .

« خطوات طالب يتقدم الى المنصة »

الطالب : هل يسمح لي الاستاذ أن أتساءل عن العلاقة التي تربط بين الاديب والمشكلات الاجتماعية كحرية المرأة مثلا .

سلامه : التجديد في الادب لا يعني شيئا آخر سوى التجديد في الحياة . والاديب يجب أن يطربنا . ولكنه يجب أن يغيرنا أيضا . وحرية المرأة ـ وكافة مشكلاتنا الاجتماعية ـ هي من سمات تطورنا وتغيرنا .. ولا يستطيع الاديب الصادق أن يتجاهلها .

الطالب : قرأت لاحد النقاد أن دعوتكم الى مقاطعة الادب العربي القديم لا تستند على أساس علمي .

سلامه « يضحك مقاطعا » : أرجو ألا يلتبس موقفي عند أحد ، كما حدث للسيد الناقد . فأني لا أعادي القدماء . والثقافة القديمة هي تراث بشري عظيم لا يهمله الا مغفل . ولكن يجب أن نميز بين قديم وقديم . ذلك أن هناك قدماء يفصل بيننا وبينهم آلاف السنين في عرف الزمن ، ولكنهم ـ مع ذلك ـ قدماء معاصرون . أي يشتغلون بهمومنا البشرية أو الاجتماعية العصرية . وهل أنس فضل هذا العظيم اخناتون ،

ـ التتمة على الصفحة ٧٧ ـ

سلامه موسى: حياته وفكره

ـ تتمة المنشور على الصفحة ١٦ ـ

وبيني وبينه أكثر من ثلاثة آلاف سنة حين دعا الى السلم الذي ما زلنا ننشده للان ؟ وأية دعوة أهم الى القلب وأسمى في الشرف من دعوة في عالمنا الحاضر الذي يقف ـ كطفل ـ على شفا بركان ؟

وهل أنسى هذا الامام العظيم ابن حزم حين يدعو الى الحب ويجعله أساسا للسعادة ، ويحض الناس على أن يحبوا ، وأن ينشدوا العفة والشرف مع من يحبون. وبيني وبين ابن حزم نحو ألف سنة ؟ وهل أنسى هذا العظيم الاخر ابن رشد ، حين يعزو تخلف الشعوب الى أن المرأة قد ضرب عليها في البيت ، فلا تخرج ولا تختلط بالمجتمع ولا تشتغل بشؤون الرجال ولا ترتزق بكدها ولا تملأ وظائف الدولة ؟ وبيني وبين ابن رشد ألف سنة أيضا .

هؤلاء وعشرات بل مئات غيرهم ، هم القدماء المعاصرون الذين يعيشون في عصرنا ويتحدثون الينا حديث الضمير والعقل والشرف ، ويحاولون تنبيهنا الى القيم الانسانية التي نسيناها أو كدنا . ليست العبرة في الادب والفن اذن بالقديم أو الجديد ، وانما العبرة بقيمة هذا الفنان أو الاديب . قيمته الانسانية أو الاجتماعية التي يحن الينا ونحن اليه فنتبادل واياه الفكرة في حنان وانشغال انسانيين . وكذلك ليست العبرة في الادب أن يكون سهلا أو صعبا . لان الكاتب الفذ هو الذي يجمع بين اليسر والعمق . والوضوح في الادب هو المنطق . والكاتب الواضح هو الكاتب الفاهم . وعندما يفهم الكاتب يفهم القارىء .

الطالب : شكرا ((خطوات العودة الى مكانه))

سلامه : أي سؤال آخر ؟

((خطوات تقترب الى المنصة))

طالبة : اشتهرت كتابات الاستاذ بالاسلوب العلمي ، فما هو المفهوم العلمي للادب والنقد ؟

سلامة : انني أفهم الادب على أنه معالجة الانسان في جملته أي في كليته . فالهندسة فن يعالج البناء . والكيمياء فن يعالج المواد . والطب فن يعالج الامراض . ولكن الادب فن يعالج الانسان جملة لا تفصيلا . فهو يزن الموقف الفلسفي والموقف الجنسي والموقف الاجتماعي ، وسائر المواقف البشرية للفرد . بحيث أنتهى من هذه المعالجة الى أن أعرف قيمة هذا الفرد في المجتمع وفي الدنيا وفي الكون . وأنتهى الى أن أقارن موقفي أنا القارىء بموقف هذا الفرد سواء كان هو موضوع قصة أو قصيدة أو مقال أو سيرة انسان .

والنقد السليم للادب هو النقد العلمي ، أي أن الناقد يسأل : ما هي الظروف الموضوعية لهذا الادب ، وما قيمة هذا العمل الادبي في المجتمع ؟ هل هو يدعو الى الحياة والصحة والخير ، أم يحض على الانتحار والمرض والشر ؟

والادب الرفيع اذن هو التنقيب عن معنى الحياة ودلالاتها ، وهو البحث عن طبيعة الكون ، وهو اقناع الانسان ، بأن يكون انسانيا . وهو ابتكار القيم الجديدة لتأخذ مكان القيم القديمة وتزيد الدنيا والبشر جمالا وسعادة .

الطالبة : هل تؤمن بالخلود في الادب ؟

سلامه : ليس الادب شيئا خالدا . اذ هو يتغير بتطور الظروف وحاجات الشعوب وسيكلوجية الافراد . ولكن يخلد فيه مع كل ذلك شيء واحد هو نزعته الانسانية . فقد تدعو الظروف أديبا الى أن يحارب ملكا سافلا وعقيدة فاسدة أو طبقة طاغية أو استعمارا أو استبدادا ، فهو يركز الاضواء على موضوع معين كي يبرزه ويحرك العقول والقلوب بشأنه . وقد يزول السبب الذي كتب وألف من أجله . فتزول قيمة ما كتب وألف لان الغاية قد تحققت . ولكن تبقى بعد كل هذا النزعة الانسانية في الاديب ، لان حزمة الفنان وعنوانه وهدفه وموضوعه أنه انساني . وسبق أن قال الاديب الامريكي هويتمان كلمة يصح أن تعلق على صدر كل فنان . قال هذا الانسان العظيم : من أهان انسانا فقد أهانني .

الطالبة : ما هو الادب الانساني اذن ؟

سلامه : هو الادب الشعبي ! بمعنى أننا لا نؤلف القصائد والقصص كي نبعث في الاثرياء العطف على الفقراء والتصدق عليهم ، وانما هو أن ننظر بالعين الفنية للمشكلات الانسانية والاجتماعية . ولكن من موقف الشعب نفسه . أي من الموقف الانساني ، وليس من موقف الاثرياء . فلا نطلب التصدق ، وانما نكافح للعدل والمساواة .

الادب الانساني اذن ، هو أن نحس أحساس الشعب ونكافح كفاحه ونتكلم بلغته ونصرخ صراخه . ولا نلقي عليه كلمات الرحمة كما نلقي للجائع لقيمات الصدقه .

الطالبة : شكرا ((خطواتها تبتعد عن المنصة الى مكانها))

سلامه : سؤال جديد ؟

((خطوات جديدة تقترب من المنصة))

طالب : أخذ عليك بعض النقاد أنك تقرن حياة الفنان بأدبه .. رغم أننا يجب أن نعتمد في نقدنا على النص الادبي فقط ، أما حياة الاديب ، فما لنا ولها ، اذا كانت لن تصيب قراءه بضرر ؟

سلامه : أشكرك على هذا السؤال الحيوي . وأجيبك ـ ومعك النقاد ـ فأقول ، أن الاديب ليس مخلوقا هلاميا لا يتأثر بما يحيط به خلال عملية الخلق الفني . ذلك أن الفنان هو قطعة من الانسانية ، بما يتجمع فيها من تراث تاريخي واجتماعي وبيولوجي . أي أن الاديب ـ كانسان يعيش بيننا ـ هو جماع تاريخي واجتماعي وبشرى لفترة زمنية معينة . وهو حين يكتب لا يتجرد من هذه الخصائص المكونة لانسانيته ووجوده . لان تجرده منها بمثابة تجرده عن تكوينه العضوي والسيكلوجي والذهني .. هذا التكوين الذي يتعاون في تناسق أثناء عملية الخلق الفني . ومن هنا يبدو واضحا أننا لا نستطيع أن نعزل الاديب عن حياته . لان مؤلفات الاديب في واقع الامر هي حياته . وما يأخذ به من قيم وأوزان في مجتمعه ودنياه وعيشه ، ينتقل الى ما يؤلف في الادب . وقد سبق لي أن قلت ، لهذا السبب ، أن أعظم مؤلفات طه حسين هو حياته . اذ ليس هناك كتاب ألفه هذا الاديب العظيم ، يبلغ في القيمة الانسانية ما تبلغه حياته .

الطالب : شكرا ((خطواته تبتعد))

سلامه : سؤال آخر ؟

((خطوات جديدة الى المنصة))

طالبة : يقول المستشرق الانجليزي مستر جيب في دراسته النقدية للادب العربي في مصر أن البراعة الروحية في اسلوبك ، هي تجديدك في اللغة . فماذا يقصد بهذا التعبير ؟

سلامه : الواقع أنه ليس للحياة غاية سوى الحياة . وكل ما عدا الحياة هو وسائل للحياة . فاللغة والادب والفن والبلاغة انما هي جميعها في خدمة الحياة التي لها الاحترام الاول والمكانة المفضلة. فنحن نتعلم الفنون ونمارس البلاغة ونعنى بالثقافة كي نصل في النهاية الى مستوى عال من الحياة . ولذلك لا نحتاج الى أن نكرر القول بأن بلاغة الحياة أهم وأخطر من بلاغة اللغة ، وأن أسلوب الحياة أجدى بالاولوية والتفضيل في التعليم من أسلوب الكتابة ، وأن فن الحياة هو أشرف واجدى الفنون على هذا الكوكب .

واذا جعلنا الحياة الشريفة السعيدة هدفا ، نوجه اليه فنوننا وعلومنا وعقائدنا ، فاننا نستطيع أن ننزع عن هذه جميعها تلك القداسة التي تحول بيننا وبين تنقيحها أو تغييرها . ويعود عندئذ ((فن البلاغة)) فنا تجريبيا مثل جميع الفنون . ويتغير كما تغيرت . فليس شك أن التغير أو التنقيح في فنونا كثيرة في عصرنا مثل الرسم أو النحت أو البناء . وقد رحب مستر جيب بمحاولتنا تطبيق هذا التطور على اللغة العربية في حدود هذا المعنى .

الطالبة : ما هي اللغة المثلى في نظرك ؟

سلامه : هي التي لا تلتبس كلماتها ولا تتشابه

عن بعد أو قرب بل هي التي تؤدي المعاني في فروق واضحة . ثم هي اللغة الثرية الخصبة التي يحتاج اليها المتمدنون . بل هي التي تتسع أيضا لاختراع الكلمات الجديدة التي تتطلبها الحاجات النامية المتزايدة لهؤلاء المتمدنين . وكي نفكر التفكير الحسن نحتاج الى اللغة الحسنة ، أعني اللغة الدقيقة التي تؤدي معنى معينا ولا تتجاوزه الى هوامش المعنى . وكذلك يجب أن تكون اللغةأنيقة فلا تصف الالوان الاصلية كالابيض والاسود ، بل تستطيع أن تنقل الينا الظلال التي بينهما . فليس من البلاغة أن نطلق الاخضر على الاسود كما تقول معاجمنا . بل يجب أن نميز لونا من آخر تمييزا صارما . ويجب أن تكون لنا بلاغة عصرية لا تقتصر على مخاطبة العواطف بل تخاطب العقول ، وأن تكون غايتها الاولى هي الفهم . وهكذا يصبح المنطق هو الاساس الاول لاية بلاغة يراد بها التعبير السديد .

الطالبة : ماذا يعوق تطور اللغة في رأيك ؟

سلامه : تتفاعل اللغة مع المجتمع ، فتنحط بانحطاطه ، وترتقي بارتقائه أي أنها تتطور . وهي حين تتطور ينشأ بينها وبين المجتمع اتصال فسيولوجي ووظائف عضوية كما بين اليد والذهن ، كلاهما يخدم الآخر وينتفع به . والتطور هو أن تخلص اللغة من الكلمات الاثرية التي لم تعد ملائمة لمجتمعنا الجديد . فاللغة بمثابة المصنع الذي يعيش في عصرنا ، ومع ذلك يجمع في مستودعاته فأسا من الحجر كانت تستعمل قبل ثمانية آلاف سنة ، وابرة من الشوك كان أسلافنا يستعملونها قبل مائة ألف سنة ، وسيفا من البرونز كان يستعمل قبل أربعة الاف سنة . ومع هذه في وقت واحد نجد مصنوعات أخرى مثل الراديو والمصباح الكهربائي والسلفانابيده ومن هنا هذا الارتباك الذهني الذي يؤدي الى قلة الفهم أو اختلاطه . ذلك لاننا نستعمل أدوات قديمة كي تؤدي لنا خدمات جديدة .

الطالبة : أشكرك « خطواتها تبتعد »

« خطوات نحو المنصة »

طالب : هل يمكن للكلمة أن تؤثر في سلوك الانسان ؟

سلامه : لا شك في ذلك . فلو تخيلنا سيدة أنيقة في صحة جيدة ، قد اقتربت من الثامنة والاربعين أو التاسعة والاربعين ، ثم أحست توعكا أو توترا ، فلما استشارت الطبيب قال لها أن حالتها تعد طبيعية في سنها .. سن اليأس !

يأس ؟ من منا يستمع هذه الكلمة ولا يضطرب ؟ الواقع أن جميع نسائنا يضطربن لهذه الكلمة . ولو أننا استبدلنا بكلمتي سن اليأس سن الحكمة أو سن النضج لكان لهذا المعنى الانساني توجيه آخر نحو الامل والنشاط ، ولكان منه سبب لسعادة نسائنا بدلا من شقائهن .

الطالب : شكرا .

« فاصل موسيقى يعلن انتهاء الندوة »

« النهاية الموسيقية تدخل بنا الى جو منزلي »

صوت شاب : حقا انه رجل عظيم .

صوت فتاة : من هو يا أخي ؟

الشاب : سلامه موسى يا أختي .. انني أقرأ مذكراته منذ الصباح، وأكاد لا أريدها تنتهي .. تصوري أنه وزع الشربات في بيته يوم طرد فاروق ؟ فجر ٢٣ يوليو يعلن قيام الثورة .

الفتاة : وماذا يقول عن الثورة ؟

الشاب : انه يفلسفها .. أسمعي « يبدأ صوت سلامة »

(حين أعرض لاحداث بلادنا فيما ١٩٤٧ ، ١٩٥٧ أجدها على اختلاف بارز بين نصفيها . فالنصف الاول الى ١٩٥٢ كان انحدارا يكاد يسكون انهيارا في السياسة والاخلاق . فقد ظهرت حركات رجعية أوشكت أن تحيل بلادنا الى جهنم . كما فسد الجهاز الحكومي وطغى العرش ، واستخفت الاحزاب بالقيم واستهترت . وأصبح الزعماء والساسة متسلقين يرغبون الوصول الى القمم دون احتفال بالوسائل . ولذا كانت في الاغلب قمم الثراء والسلطان على هرم من أشلاء الشعب .

أما النصف الثاني ، أي من بداية الثورة حتى الآن ، فيمثل نهضة الشعب . وهي نهضة انشائية بنائية في جميع المرافق ما زلنا ماضين في طريقها الذي لن يكون له نهاية . وأنا لذلك كبير التفاؤل بالمستقبل . فقد أممت قناة السويس في ١٩٥٦ . وأحس الشعب أنه بهذا التأميم لم يسترد هذه القناة فقط ، بل استرد كرامته ، وتاريخ هذه القناة لا يقرأه مصري الا مع الالم والغيظ . فانه أكبر عملية نصب واحتيال في السياسة العالمية في القرن التاسع عشر . وأذكر أني منذ أكثر من عشر سنوات دعوت الى تأميم هذه القناة . وقلت في تدليلي وتبريري أن هذه القناة تقع في أرض مصرية . وأن تأميمها من حيث القانون لا يزيد على تأميم الترام في القاهرة . وبعدها قرأت لاحد الصحفيين أنه سأل رئيس الوزراء آنذاك عن اشاعة التأميم ، فأجاب رئيس الحكومة المصرية بأنه ليس عند حكومته أية نية للتأميم ، وأنها تنتظر انتهاء الامتياز حين تستولي عليها عام ١٩٦٩ . ولذلك أكرر أني كبير التفاؤل بالمستقبل . وخاصة بعد هذه الاتفاقات التي نعقدها مع الدول لتصنيع بلادنا . هذا التصنيع الذي سيحل كثيرا من أزماتنا . بل ان هذه الازمات ستحل نفسها عندئذ بلا عمل ارادي من جانب الحكومة . فان التعطل سيزول . ويأخذ الاتجاه العلمي مكان الاتجاهات التقليدية . فالثقافة العلمية ستكون النتيجة للحضارة الصناعية . ثم تعود هذه الثقافة فتؤثر في هذه الحضارة . ويستمر التفاعل بينهما . وهكذا أسعد كثيرا لان دعوتي للصناعة قد نجحت ، وهي دعوة أمضيت فيها أكثر من ثلاثين سنة . وها أنذا في ١٩٥٧ أجد الجمهورية ، النظام الانساني الديمقراطي لكل شعب حر .

وقد رفعت الثورة شبابنا من اهتماماتهم الشخصية الصغيرة الى مستوى التاريخ . فصاروا يهتمون باصلاح الوطن واستقلاله ، وزيادة أرضنا المزروعة ، وانشاء المصانع ، وتقوية الجيش ، ورفاهية الفلاحين والعمال ، واستقلال المرأة واستكمال حقوقها البشرية . وأصبح شبابنا يعملون ويجدون ، لان الثورة قد ألهمتهم شرفا جديدا ، ولانهم لم يعودوا يجدون الطرز الخسيسة من الرجال أمثال « فاروق » أو قواديه أو جواسيسه) .

« ينتهي الصوت بموسيقى »

صوت الفتاة « متنهدة » : يا سلام .. انه يعبر في صدق عن أروع لحظات حياتنا .

صوت الشاب «متأثرا » : .. وكفاحنا .

مكتبات انطوان

فرع شارع الامير بشير

من خيرة المكتبات التي يعتمد عليها

الطالب المثقف لتأمين كتبه

مكتبات انطوان

تروي عطش المثقفين جميعا

الفتاة : ماما تقول أن صديقتها الصحفية ستزوره .. ليتها تأخذني معهـــا .

الشاب : حقا .. انها فرصة العمر .

(فاصل موسيقى)

« صوت سيدة تتكلم »

الصحفية : سألته ، وهو يقلب كتاب « المرأة ليست لعبة الرجل »: هل وصلت المرأة العربية الى ما كنت تصبو اليه ؟ وأجاب سلامه موسى :

سلامة : لقد وصلت المرأة في بلادنا الى أكثر مما كنت اصبو اليه منذ اربعين أو خمسين سنة . ولكن اطمع في أكثر مما وصلت اليه ، اطمع في سن قوانين جديدة تقرر لها استقلال الشخصية المدنية فـــي جميع تصرفاتها ، وأيضا مساواتها بالرجل في جميع الحقوق الاقتصادية. وكذلك حقوق الزواج والطلاق يجب ألا يتميز الرجل بشيء منها .

الصحفية ما رأيك في الضجة التي اثيرت اخيرا حول الاختلاط في الجـامعة ؟

سلامة : هي ضجة انتظرها في فترة الانتقال من اخلاقنا القديمـة الى اخلاقنا الجديدة فان الصدمة التي تحدثها حرية المرأة في قلـب الرجل التقليدي ليست صغيرة ، وهو معذور اذا تأوه أو صرخ ، والذي اعرفه بمشاهداتي ان الفتاة المصرية بالمقارنة الى زميلتها الاوروبية تعـد من اكرم الفتيات وانبلهن واكثرهن تحفظا في العالم . وهي تهـــدف الى تحقيق السعادة في الزواج وتسعى له في شرف وامانة .

الصحفية : قلت للرجل الذي دعا الم تعليم الجنس في المدارس : ما هي الاسس التي يمكن أن تبني عليها مادة « التربية الجنسية » اذا امكن ادخالها ضمن مناهج الدراسة ؟ فاجاب :

سلامة : التربية الجنسية بالمران والاختلاط في المراحل الاولـى من التعليم . وتعلم في البيت من الابويـن . وتعلم بعد ذلك في المراحل العليا على ايدي اساتذة حكمـاء وعلماء . وتعلم بالكتب النظيفة التـي يكتبها مسؤولون عارفون غير مهرجين .

الصحفية : من هي اعظم امرأة في العالم ؟

سلامه : ليس هناك امرأة واحدة عظيمة . هناك الاف بل ملايين . والمرأة العظيمة الاولى التي عرفتها هي امي . وقد اكون مخدوعا ، وذلك لاني وجدت منها حبا عظيما ، وهذا عذري . وكل امرأة تخدم ابناءهـــا وتهيئهم لمجابهة الصعاب في هذه الدنيا وترسم لهم طرق الاستقامـة والشرف هي امرأة عظيمة . ولذلك فالمرأة العظيمة الثانية التي عرفتها هي زوجتي . لانها استطاعت أن تصل باولادها الى مرتبة عالية مـن التربية . وفي المجتمع الذي يجعل الوظيفة الاولى للمرأة طبخ الطعام والاسراف في تهيئته بحيث يرضى النهم الذي لا يشبع.. في مثـــل هذا المجتمع يشق على المرأة ان تكون عظيمة . ولكن في مجتمع قادم حين نعرف كيف نشترك في المطاعم العامة ، وحين نعرف ان المرأة يجب ان تعمل اعمـال الرجال وتهدف اهداف العظماء ، حينذاك سوف نجد العظمة في المرأة اكثر مما نجدها الان .

الصحفية : والكتاب الذي كان على المقعد المجاور للكاتب الكبيـر هو « فن الحب والحياة » ويذكر فيه سلامه موسى الانتصارات الرائعـة التي حققتها المرأة في جميع انحاء العالم . قلت للرجل الـذي يكسو الشعـر الابيض رأسه في هدوء : ما هي الاهداف التي لم تحققها المراة العـربية في نظرك ؟

سلامه : اعظمها ينقص المرأة في البلاد العربية هو تحقيق شخصيتها، ولـن تستطيع ذلك الا اذا عملت وكسبت واصبحت قادرة على ان تجدد موقفها من المجتمع والعالم بلا خوف من الجوع . وسوف يكون هـــذا ممكنا عندما تعم بلادنا الحضارة الصناعية المنتظرة التي تهـــيء الفرص لجميع الشباب والفتيات كي يعملوا وينتجوا .

الصحفية : من هو الرجل العظيم ؟

سلامه : دعيني اسرق الاجابة من برناردشو ، اذ قال ، ان الرجل العظيم الذي يعطي الدنيا اكثـر مما يأخذ منها . اي ان الدنيا تجد بعد انقضاء عمره انها كسبت به ولم تخسر ، وانفقت عليه اقل مما ترك لها . وهذا الذي تركه لها قديكون حكمة او قدرة او علما او اختراعا او زيادة في الثروة او الخير او السلام.

الصحفية : قال المستشرق المجرى جرمانوس في نقده لك ، انك تؤثـر العقل على القلب في اختيار السلوك الانساني . فأين يقع انسانك اذن بيـن الاثنين ؟

سلامه : ان جميع الاديان في نظري متساوية . فانا احب المسيح واعجب بمحمد واستنير ببوذا . واحس ان كل هؤلاء اقربائي في الروح احيا معهم على تفاهيم واستلهم منهم المروءة والحق والرحمة والشرف. وأؤمن زيادة على هؤلاء ، بحب الطبيعة وجلالة الكون . ولا انسى المعنى الديني في نظرية التطور ، وموكب الاحياء التي يتوجها الانسان . بـل اني لاجد هذا المعنى الديني في جمال المرأة ، وقداسة الامومة ، وشرف الانسانية . وأؤمن بتولستوي وغاندي وفولتير وبيكون . ان الصورة الوحيدة التي تظل على سريري اراها عند اليقظة في الصباح ، وقبـل النوم في المساء هي صورة تولستوي ، الانسان الانساني . وبكلمة اخرى اقول ان بؤرة ايماني هي الانسانية بمن تحوي من فلاسفة وانبيـــاء وادباء ، وبما تحوي من شجاعة وذكاء ومروءة ورحمة وجمال وشرف .

الصحفية : وكدت انسى سؤالي الاخير ، لولا ابتسامة الرجـل العظيم ، فقلت له : ما اخر ما قرأت ؟

سلامه : بروفات كتاب عن سلامه موسى

الصحفية « ضاحكة » كيف ؟

سلامه : انه دراسة لانتاجي الفكري كتبها ناقد شاب

الصحفية : واخر ما كتبت ؟

سلامي : تعليقي على هذه الدراسة

الصحيفة : ما هي امنيتك ؟

سلامه : ان اموت ــ مثل الجاحظ ــ وعلى صدري كتاب .

موسيقى

المراجـع

١ ــ المجموعة الكاملة من مؤلفات سلامه موسى

٢ ــ العدد الخاص من مجلة « العالم العربي » القاهرية ، الذي صـدر في سبتمبر سنة ١٩٥٨ عن سلامه موسى

٣ ــ كتابات المستشرق المجرى جرمانوس ، والمستشرق الانجليـزى جيب

٤ ــ كتابات علي الوردي ولويس عوض والعقاد ورشدي صـــالح وحسيـــن فوزي ووديع فلسطين وطه حسين وكامل الشناوي وعبداللطيف السحرتي وابراهيم ناجي واحمد عباس صالح وفؤاد دواره وانور عبد الملك وفتحي خليل ومحمود العالم وحليم متري ، وبقية الادباء والمفكرين العرب الذين كتبوا عن سلامه موسى غداة وفاته .

غالي شكري

فندق نيو بالاس

ادارة : فتحي نوفل

وسط راقٍ
خدمة ممتازة
مياه ساخنة
تليفونات بالغرف

جناح خاص
للعائلات
أسعار معتدلة
مصعدان حديثان

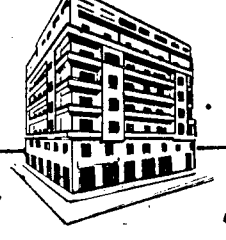

١٧ شارع سليمان الحلبي
(دوبريه سابقا) القاهرة
خلف سينما الكواكب بعماد الدين

ت : ٤٥٩٣٦
س ت : ٧٩٧٩١

New Palace Hotel 17 Sh. Soliman el Halaby Telephone 45936 Cairo